مقابلة

تريز الخوري
khourytherese@hotmail.com

هل تفتح حروب المنطقة صراعات جديدة أم آفاقاً للسلام؟ عبدالقادر: أخشى الحرب في حال عدم التزام الهدنة

شهدت منطقة الشرق الاوسط سلسلة من الحروب والصراعات، اسفرت عن تدمير العديد من الدول العربية وسقوط انظمة وتشريد الملايين. لعبت ايران واسرائيل ادوارا بارزة سواء من خلال دعم جماعات مسلحة، او التدخل المباشر في الشؤون الداخلية للدول العربية، ما زاد من تعقيد الاوضاع السياسية والامنية في المنطقة

لا يمكن قراءة الاحداث بعد 7 تشرين الاول 2023 على انها مجرد معارك عسكرية او تدابير واجراءات امنية بين الاعداء والخصوم. فما حصل في غزة منذ ذلك الحين، وتبادل الضربات في لبنان وازدياد التصعيد في اتجاه حرب التدمير والاغتيالات والاجتياح البري، ادى الى معركة واسعة بين خصمين رئيسيين هما ايران واسرائيل، وقد امتدت لتشمل المنطقة بأكملها لإتمام مشروع التطبيع العربي الكامل مع الدولة العبرية.
ثمة دول كانت تفاوض من اجل صفقة كبرى لتضمن بعض المكاسب للفلسطينيين، في حين اتى هجوم حركة حماس في طوفان الاقصى ليهدد المشروع السياسي الاسرائيلي - العربي، ان لم نقل ليهدمه. تعتقد تل ابيب ان طهران ومحورها هما المسؤولان والمحرضان والداعمان لكل ما حصل. في المقابل، كانت ايران تسعى الى اعادة احياء احلامها النووية بوساطة فرنسية بينها وبين الولايات المتحدة الاميركية، في مسار من المفاوضات، وحرصت على ابقاء ذلك بعيدا من تداعيات حرب غزة واثارها الى حد ما، لكن الملف طوي من جديد، وتبددت الآمال. كانت اسرائيل تنتظر الفرصة، فغيرت معالم دول وصولا الى سقوط النظام السوري.
"الامن العام" حاورت المحلل العسكري والاستراتيجي العميد المتقاعد نزار عبدالقادر.

■ كيف تقيّم الحرب التي نشبت عام 2023 في غزة، خصوصا بعد خطف الرهائن الاسرائيليين من حماس، هل ترى ان الامور ستصل الى تسوية ام ان حماس قد تنتهي في المستقبل؟

□ يبدو بوضوح ان حماس لم تقرأ بعناية ردود الفعل المحتملة للقيادة الاسرائيلية، ولم تصغ الى التحذيرات من مغبة الاستمرار في العمليات العسكرية التي ادت في نهاية المطاف الى حرب واسعة. ما اود الاشارة اليه، هو ان حماس بدأت الحرب وهي الطرف الاضعف، وبقيت قدراتها العسكرية محدودة جدا، على الرغم من دعم ايران لها. فعمدت الى الهروب من امكانات اسرائيل على حسم القتال من خلال الاحتماء وراء التجمعات المدنية الكثيفة داخل غزة، الامر الذي قامت به لتحافظ على قياداتها ومنشاتها ضد الهجمات الجوية والبرية والبحرية. اما اسرائيل فدخلت الحرب بامكانات جوية وبرية وبحرية متفوقة، اضافة الى استعمالها التكنولوجيا المتطورة من اجل مفاجأة حماس وتخفيف خسائرها بغية تحقيق ما يطلق عليه الاميركيون "الصدمة والرعب". اضف الى ذلك، فقد نجحت في تحجيم حماس وحسم المعركة لصالحها. لذا، لا ارى ان هناك تسوية ناضجة في المدى القريب.

■ بالنظر الى الوضع الراهن في لبنان، كيف ترى تطور الاوضاع العسكرية لغاية اتفاق وقف إطلاق النار؟ وهل ترى ان حزب الله مستمر في مواقفه بعد التغيرات التي حصلت في المنطقة والى اين نحن ذاهبون؟

□ عندما اتخذ قرار بتوسيع العمليات العسكرية، اعتبر ان هذه هي الطريقة الفعالة التي هدفت الى الضغط على حزب الله لقبول الشروط الاسرائيلية التي تتعدى نص القرار الدولي 1701 وروحه، بحيث يقبل على الاقل بالشروط الاساسية التي ترغب فيها اسرائيل، ان لم يكن بكل ما تريده. اعتقد ان اهم شرط هو حرية تحركها العسكري في حال شعرت بتجاوزات من الحزب. ولأن الدولة العبرية تفاوض تحت ضغط النار، فهي تعتمد بشكل كبير على نهج توجيه ضربات قاسية بهدف الايلام والانتقام، وتحقيق اقصى قدر من الدمار قبل الوصول الى اي وقف لإطلاق النار، وهكذا حصل مع لبنان. اما لجهة مساندة غزة، فان لايران الدور البارز في التدخل في الشرق الاوسط لبسط نفوذها، وما تزويد حزب الله السلاح وقبله حماس الا لجر المنطقة الى صراع اقليمي. اما اسرائيل، فقد فهمت اللعبة وعمدت الى اغتيال الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله الذي مثل "جوهرة التاج" للعمليات الاسرائيلية للقضاء على الحزب. المهمة الان هي تحقيق ثمار هذا الانتصار من خلال تغيير الواقع الامني في الشمال، وهكذا تمكنت القوات الاسرائيلية من التوغل بأقصى سرعة برا لاختراق عميق في لبنان. اعتقد ان الاسرائيلي لديه هدف واضح هو تفكيك البلد والوصول الى عمق مقداره 40 كيلومترا وتهجير كل السكان، وعندها يصبح في امكانها السيطرة على المنطقة، وستقول لن اخرج او اسمح بعودة السكان الا بعد حل حزب الله وتسليم سلاحه. اما الهدنة فهي من صنع الولايات المتحدة، ولولاها لكان كل لبنان في حالة حرب مع اسرائيل ولدمر بأكمله. اتصور ان الحزب اذا لم ينفذ بنود الهدنة، فان الحرب المقبلة يمكن ان تتطور وان تتوجه ضد الدولة اللبنانية. لكن ما اود الاشارة اليه، هو ان نجاح قوات الثورة والحكومة الموقتة المنبثقة منها، في قيادة سوريا نحو بناء دولة مستقرة وديموقراطية، سيشكل بلا ادنى شك، تلك البرهة المواتية لاستقرار لبنان واستعادة سيادته من خلال تسليم حزب الله سلاحه للدولة اللبنانية، وبالتالي بناء لبنان ذات السلطة الرشيدة القادرة على حماية ابنائها.

■ بعد فترة من الهدوء النسبي، تصاعدت وتيرة الاحداث في سوريا وبعدها سقط النظام، فماذا حصل وما هي رؤيتكم الاستراتيجية لمستقبل المنطقة؟

□ في السنة الثانية لبداية الثورة السورية، صدر كتابي بعنوان "الربيع العربي والبركان السوري - نحو سايكس - بيكو جديد". اردت في ذلك الوقت، ان يحمل عنوان الكتاب دلالات عما كنت اتوقع حدوثه في سوريا. فالبركان يثور ويهدأ، ليعود وينفجر من جديد، وكنت ارغب ان اعطي براهين عما كنت اتصور حدوثه في الجيوبوليتك لبلاد الشام، حيث ان الاتفاق قد رسم الحدود الجديدة لها ولدول الجوار. يبدو الآن وبعد التطورات الراهنة، بأن توقعاتي لم تكن بعيدة من مسار الاحداث التي شهدتها سوريا ما بين عامي 2011 و2024. لقد تقطعت الاوصال والروابط بين مختلف المحافظات السورية فبقيت دمشق تحت سيطرة نظام بشار الاسد، فيما خضعت المحافظات الاخرى لسيطرة ايران وروسيا وحزب لله وتركيا والاكراد، وحصرت فصائل الثورة او ما تبقى منها في محافظة ادلب بقيادة جبهة النصرة. لقد اعطى تدخل روسيا وايران وحزب الله فرصة طويلة للنظام تقارب عقدا كاملا للبحث عن حل سياسي للازمة انطلاقا من مندرجات قرار مجلس الامن 2254، لكنه رفض اعتماد اي مقاربة سياسية تقود الى مصالحة وطنية. كان من المتوقع ان تطالبه الدول العربية ومعها جامعة الدول العربية، بالبحث عن تسوية مع معارضيه تمهيدا لإعادة توحيد البلاد والحد من النفوذين الروسي والايراني. لقد ظن بشار الاسد بأنه يمكنه حكم سوريا مدى حياته، وان يورثها لابنه، كما ورث حكمها عن والده حافظ مستندا على قوة حلفائه من جهة، وعلى عنف اجهزته الامنية وظلمها للشعب السوري، حيث زاد عدد المعتقلين في سجونها عن 300 الف سجين، اضافة الى قتل ما يزيد عن نصف مليون مواطن وتهجير 12 مليونا. حاول الرئيس التركي رجب طيب اردوغان اعادة فتح العلاقات مع بشار الاسد، وكان الجواب برفض القيام بأي خطوات للتحسين او اجتماع الرئيسين، مشترطا انسحابا كاملا وغير مشروط للقوات التركية من المناطق التي تحتلها داخل سوريا. كان الرد التركي بالطلب لفصائل المقاومة بقيادة هيئة تحرير الشام بالهجوم العام ضد قوات النظام، بدءا من ريف ادلب، امتدادا الى حلب وحماه وحمص، وصولا الى العاصمة دمشق. كانت نتائج الهجوم مذهلة ومفاجئة لجميع الدول ولحلفاء النظام روسيا وايران وحزب الله. اما بعد ان سقطت دمشق وغادرها بشار، وبعد 12 يوما فقط من بدء الهجوم الصاعق، انسحبت قوات الجيش العربي السوري امام قوات المعارضة، من دون اي مقاومة تذكر. كانت خلايا الثورة النائمة ومعارضو النظام قد استولوا على مقاليد الامور في السويداء ودرعا، وبدأوا الاعداد للتوجه الى دمشق. وقد جاء هذا السقوط السريع للنظام نتيجة مجموعة من الأسباب، ابرزها:

• قيام اسرائيل بمئات الغارات خلال سنتين داخل سوريا مستهدفة حزب الله والقوات الايرانية من اجل اضعافها، وتدمير شحنات الاسلحة القادمة من ايران لدعم ترسانة الحزب، ولم تنجح مواقع دفاعية وعسكرية تابعة للنظام من منع هذه الغارات. ◄

المحلل العسكري والاستراتيجي العميد المتقاعد نزار عبدالقادر.

سقط النظام السوري وتغيرت موازين القوى في المنطقة

• ادت الحرب بين اسرائيل والحزب الى خسارة القسم الاكبر من ترسانته الدفاعية والهجومية.
• اضعاف النفوذ الايراني في سوريا ولبنان بفعل خسارة الحزب الحرب مع اسرائيل.
• فشل الرئيس الاسد في تقبل المطلب التركي للحوار والبحث عن تسوية مشرفة لكل الاطراف.

كان من الواضح ان هجوم فصائل المعارضة على قوات النظام قد جرى بدعم تركي واوامر تركية مباشرة، لكن لا بد من الاعتراف بأن قوات المعارضة بقيادة احمد الشرع (الجولاني)، قد نجحت في اسقاط النظام وهرب الاسد من دون اي مساعدة من الخارج، محققة بذلك كل اهداف الثورة. في النهاية، استولت قوات المعارضة على جميع المدن التي ساهمت في تحريرها القوات الروسية والايرانية بعد معركة طويلة ومريرة، واستعادتها قوات المعارضة بسرعة غير متوقعة. سيترك هذا الانجاز مفاعيله على كل الازمات التي تواجهها الدول العربية. في رأينا، على الرغم من سرعة قلب النظام وسيطرة قوات الثورة على العاصمة، فان سوريا ما زالت تواجه

تراجع الدور الايراني وضعف على طاولة المفاوضات

حالة من عدم اليقين، وذلك نتيجة انهيار الجيش والقوى الامنية وضعف ادارات الدولة وفسادها. لا بد في هذا السياق من التحذير من العداء والانتهازية التي تظهرهما اسرائيل، والتي يمكن ان تؤدي الى خلق حالة من الضغط وعدم الاستقرار لإفشال الحكومة الجديدة.

■ نفذت ايران سلسلة من الهجمات على اسرائيل شملت اكثر من 300 صاروخ، و170 طائرة مسيرة. هل تتوقع استئناف الحرب مع اسرائيل، ام ستتحول الى استراتيجية - استخباراتية بدلا من الحرب العسكرية التقليدية؟

□ لم تنته الحرب بعد، والقضية الفلسطينية فتحت الابواب للتدخل الايراني في المنطقة. طالما ان الامور باقية على ما هي عليه بين حماس واسرائيل، فان الوضع مفتوح على كل الاحتمالات والمحاور. اشير الى ان ايران قد تكون في مرحلة انتقالية خطيرة، مع انهيار حلفائها بطريقة غير مسبوقة. اعتقد ان التحولات الجارية في سوريا والعراق ولبنان وفلسطين تشكل تهديدا مباشرا لهيمنتها الاقليمية، وارى ان فقدان السيطرة على سوريا يمثل ضربة قاسية اذ تعتبرها طهران محورا اساسيا لنفوذها الاستراتيجي. مع ذلك، لم تفقد ايران كل نفوذها، ولا تزال تحتفظ بقدرة على التحرك بسرعة لاستعادة بعض مواقعها، خاصة في اليمن والعراق ولبنان، وان حزب الله في لبنان والعناصر الاخرى في العراق سيظلون حلفاء استراتيجيين قادرين الى حد ما على التأثير. اشير الى ان الضغط على الاطراف التي تدعمها في المنطقة، من شأنه ان يؤدي الى تغيير موازين القوى بشكل كبير، كون اسرائيل ستستفيد من ضعف الدولة الفارسية الحالي لتعزيز واقع استراتيجي جديد في الشرق الاوسط.

■ هل لا تزال اليمن تشكل تهديدا لإسرائيل ولحركة الملاحة الدولية في البحر الاحمر، وكيف تقيّم قدرات العسكرية لهذه الدولة وهل سيتم الرد عليها اذا حاولت التحرك؟

□ تشكل اليمن ازمة كبرى. فهي تسيطر على ممر باب المندب، لكن الحرب ستكون محدودة وستبقي عليها ايران كورقة على طاولة المفاوضات. في هذا السياق، لا بد من ان اشير الى انها لن تستطيع تصحيح الخلل الكبير الذي احدثته موازين القوى، لكنها ستكون في غياب سوريا مسرحا للنفوذ الايراني ولعملياته العسكرية، الا انني لا ارى مصلحة الان بتوسيع الحرب والدخول في حرب اقليمية جديدة، لأن ايران بدأت تدرك ان مخاطر تحرك الجبهة اليمنية واشعال الفتيل هي اكبر بكثير من طاقتها نتيجة الخسائر التي منيت بها.